تشترك الآيات الثلاثة في الجملة اللاحقة «إن هم إلا يخرصون» مع المخالفة في ضمير المسند إليه بين الخطاب والغياب. والفعل «خرص» هو مفتاح الجملة. يقول ابن منظور[1] «خَرَصَ يَخْرُصُ بالضم وتخرَّص أي: كذب... ويجوز أن يكون الخراصون الذين إنما يظنون الشيء ولا يحققونه، فيعملون بما لا يعلمون.. وأصل الخَرْص التظنِّي فيما لا تستيقنه، ومنه خرْص النخل والكرم، إذا حَزَرْتَ التمر، لأن الحَزْرَ إنما هو تقديرٌ بظنٍّ لا إحاطة... ثم قيل للكذب خَرْصٌ لما يدخله من الظنون الكاذبة».

فربط التفسير المعجمي للخرص بينه وبين الظن ربطًا وثيقًا، فجعل الخرص لفظًا مركب الدلالة، تركيبًا من جزأين أحدهما الظن (عدم العلم بالحق) والآخر العمل به أو قوله.

وبخلاف أثر هذا الارتباط القوي بين دلالة الجملة اللاحقة وجملة الظن ـ في ترجيح أحد الوجوه؛ الوجه الذي ينتفي فيه التحقق، فثمة دلائل لفظية أخرى:

أولها: الجملة السابقة على جملة الظن -في أولى الآيات الثلاث ـ قوله ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ فالاستفهام ينكر عليهم أن يكون لهم من العلم ما يجعل ظنهم صحيحًا، أو ما تنتفي به عنهم صفة الظن، والتخرص، وهذا الاستفهام الإنكاري يضع الظن في مقابلة العلم، ويرجح فيه معنى الشك أيضًا.

وفي الآيات الثلاثة، تبرز ظاهرة تكرار أسلوب القصر، وهو أمرٌ سُجِّل في معظم آيات المجموعة، وقد زاد في هذه الآيات الثلاثة أن التكرار ليس مجرد تكرار نمط تركيبي في عدد من الآيات، بل في جملتين متتاليتين في آية واحدة، وهو ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾.

وتكرار النمط في جملتين إحداهما تفسيرية للأخرى أو تعقيبية على الأقل، وثمة مجهول في إحدى الجملتين غير مجهول في الأخرى، يسوقنا إلى صيغة رياضية[2] هي:

---

(١) لسان العرب، مادة (خ ر ص).

(٢) هذه المعادلات ونتيجتها صيغة أحرى لقاعدة، تتبع اتجاهًا في النحو التقليدي يعرف بـ Context sensitive grammer أو نظرية «النحو شديد التأثر بالسياق» ونص القاعدة: إذا كان XAY XBY فإن A=B عندما يحيط بهما العنصران X,Y. راجع في هذا: Encyclopedia Britainica, Glossary of Linguistic Terms.

وأيضًا David Crystal, OP. Cit, under "Context"